﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

هـلاكُ النّـاس بسبب الصَّيحة يـومَ القيامة، وانـقـطـاعُ حركتِهم بالكُلّيَّةِ

لمّا كانت الصَّيحةُ مُميتةً سبَّبَ عنها قولَه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَوْصِيَةً﴾: (وصى) أصلُ الكلمةِ يدُلُّ على وصلِ شيءٍ بشيءٍ، ومنه سُمّيت (وصيَّةً)؛ لأنَّها وصلٌ لِما كان في الحياةِ بعد الموتِ[2]، والوصيَّةُ: ما أوصيتَ به، يُقالُ: أَوصَى يوصي إيصاءً، ووصَّى يوصي توصيةً: إذا عَهِدَ إليه، وأوصيتُ إليه بمالٍ: جعلتُه له، والوصايةُ: فعلُ الوصيِّ، والجمعُ: وصايا[3]، والمُرادُ بالتَّوصيةِ هنا: الأمرُ بشيءٍ مع تحريضٍ على إيقاعِه والعملِ به؛ أي: لا يستطيعونَ توصيةً ما[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إذا وقـع النَّفخُ في الـصّـورِ لـم يـستـطـع أحـدٌ الـوصـيّـةَ، ولا الـرَّجـعـةَ إلى الأهل والذُّريَّة

يقولُ سبحانَه: لا يستطيعُ الكافرون حينَ يقعُ النَّفخُ أن يوصوا أحدًا بأيِّ شيءٍ ممّا يُريدونَ الوصيَّةَ به، كالأموالِ وغيرِها، ولا يستطيعونَ حينَها الرُّجوعَ إلى أهليهم[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ (الفاء) في السّياقِ:

الفاءُ تُفيدُ التَّرتيب والتَّعقيب، بمعنى: يتسبَّب عن أخذِهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 140.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وصى).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (وصى).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 35.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 450، 453، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 38، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 581.

بالصَّيحةِ أنَّهم لا يستطيعون توصيةً، ويعقب هلاكَهم أنَّهم لا يستطيعون توصيةً؛ أي: لا يتمكَّنون من توصيةٍ في أموالِهم ولا يرجعون إلى أهلِهم كما هو شأنُ المُحتضَرِ[1]، فيكون موتُهم مشوبًا بالغمِّ مع هول الموقف ورهبته، ودلَّ قولُه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ على أنَّ الموتَ ليس حين سماع أوَّلِ صوتِ الصَّيحة بل عقبَه من غير مُهلةٍ لتمام أمرٍ ما[2].

موتُ النّاسِ يوم القيامة مَشوبٌ بالهمِّ والغمِّ، محوطٌ بالهولِ والرَّهبة

بلاغةُ الكنايةِ في الآيةِ:

في قولِه تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾، كنايةٌ عن شدّةِ السُّرعة، وإعجالِ الحالِ بين الصَّيحة وهلاكِهم؛ إذ لا يُقصَد مدلولُ الجملة الصَّريحُ؛ لأنَّهم لا يتركون غيرَهم بعدَهم؛ إذ الهلاكُ يأتي على جميع النّاسِ[3].

الهلاكُ بالصَّيحة يأتي على جميع الـنّـاس، ولا يستثني أحدًا

نكتةُ التَّعبير بعدمِ الاستطاعة دونَ نفي الفعلِ:

عُبِّرَ بعدم الاستطاعةِ على التَّوصية في قولِه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ دون أن يُقالَ: (فلا يوصون) للإشعارِ بشدَّة الحالة التي هم عليها، فهم لا يوصون ولا يستطيعون التَّوصيةَ أصلًا، فإنَّ قول القائل: (فلانٌ في هذه الحالِ لا يوصي)، دونَ قولِه: (لا يستطيعُ التَّوصيةَ)؛ لأنَّ مَن لا يوصي قد يستطيعُها[4].

نفيُ الاستطاعة على الفعلِ أبلَغُ في بيـان شـدَّة الحالةِ من نفيِ الفعلِ

سببُ نفيِ استطاعةِ التَّوصيةِ:

لـمّا كانت التّوصيةُ بمعنى اللَّفظ الذي يوصَّى به عبارةً عن القول، ولـمّا كان القول يوجَدُ أسرعَ ممّا يوجَدُ الفعل كان التَّعبيرُ عن عدم استطاعتِهم التَّوصيةَ بالقولِ في قولِه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ إيذانًا بعجزِهم عمّا هو أكثرُ منَ القول، بمعنى: أنَّهم لا يستطيعون

نفيُ الاستطاعةِ على القولِ يُؤذِنُ بالعجزِ عمّا هو أكثرُ منه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 35.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 141.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 457، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 35.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 290.

أن يقولوا كلمةً، فكيف يستطيعون أن يُنجِزوا فعلًا يحتاجُ إلى زمانٍ طويلٍ وحركةٍ من أداءِ الواجباتِ وردِّ المظالم[1]؟.

سرُّ إيثارِ لفظ: ﴿تَوْصِيَةً﴾:

اختيارُ لفظِ ﴿تَوْصِيَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ مِن بينِ سائرِ الكلماتِ يدُلُّ على أنَّه لا قُدرة له على أهمِّ الكلماتِ التي يسعى إلى التَّلفُّظِ بها؛ فإنَّ الحاجةَ في وقتِ الموتِ إلى التَّوصيةِ أمَسُّ من غيرِه[2].

الوصيَّةُ حين الاحتضارِ من أهمِّ ما يتركُ في آخرِ المسارِ

فائدةُ تنكير لفظِ: ﴿تَوْصِيَةً﴾:

لمّا جاء لفظُ: ﴿تَوْصِيَةً﴾ في سياقِ النَّفي أفادَ اللَّفظُ العموم، بمعنى: لا يستطيعون أيَّ توصيةٍ، ولو كانت بكلمةٍ يسيرةٍ، فيُفيدُ التَّنكيرُ التَّقليلَ[3]، بمعنى: أنَّهم إذا عجزوا عن الكلمةِ فهم عمّا فوقَها أعجَزُ.

مَن يعجزُ عن قولِ الكلمةِ فهو عمّا فوقَها أعجَزُ

دلالةُ حذفِ المفعولِ فيه:

في قولِه تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾، حُذِفَ المفعولُ فيه، فلم يذكر التَّوصيةَ في أيِّ شيءٍ، وفائدةُ الحذفِ التَّعميمُ؛ بمعنى: فلا يستطيعونَ توصيةً في أيِّ شيءٍ من أمورِهم[4].

منعُ عمومِ التَّوصيةِ وجهٌ بالغٌ في العجزِ

مُناسبةُ الجمعِ بين المعطوفَين:

لمّا عُطِفَ قولُه: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ على عدَمِ الاستطاعةِ على التَّوصية أفادَ بيانَ شدَّة الحاجةِ إلى التَّوصيةِ؛ لأنَّ مَن يرجو الوصولَ إلى أهلِه قد يُمسِكُ عن الوصيَّة لعدمِ الحاجةِ إليها، وأمّا مَن يقطَعُ بأنَّه لا وصولَ له إلى أهلِه، فلا بُدَّ له منَ التَّوصيةِ، فإذا لم يستطِع مع الحاجةِ، دلَّ على غايةِ الشِّدَّةِ في قوَّةِ وُقوعِ الصَّيحةِ ومجيءِ الوعد[5].

بيانُ الحاجةِ إلى التَّوصيةِ، لانقطاعِ الرَّجاءِ في الرَّجعةِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 290.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 290.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 35.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 159.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 290.

جمعَ بين المعطوفَين في الآية للإشارةِ إلى أنَّ الإنسانَ إمّا أن يكونَ في ما بين أهلِه، أو خارجَ بيتِه، فإن كان بين أهله فلا يستطيعُ توصيةً، وإن كان خارجَ بيتِه فلا يرجعُ إلى أهله؛ إذ تبغتُهم الصَّيحةُ فيموتون حيثُما كانوا[1]، فالمُرادُ بعدم استطاعةِ التَّوصيةِ وعدمِ القدرة على الرُّجوع، عدمُهما بسبب الموتِ لا بوجهٍ آخرَ، وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على عظمةِ هذه الصَّيحةِ التي لا تُمهِلُ أحدًا ليتكلَّمَ، ولا القائمَ ليقعُدَ، ولا القاعدَ ليقومَ؛ إذ يموتُ كلٌّ بمكانِه على هيأتِه دون حركةٍ، ولا عجبَ من ذلك؛ فإنَّها صيحةٌ يوم القيامةِ.

الصَّيحةُ لا تُمهِلُ أحدًا ليتكلَّم، ولا قائمًا ليقعُدَ، ولا قاعدًا ليقومَ

سرُّ تقديمِ شبهِ الجملةِ على الفعلِ:

قُدِّمَ ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ على عاملِه ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ للاهتمام بالمُقدَّم، بمعنى: أنَّهم إذا كانوا إلى أهلِهم لا يرجعون فإلى غيرِهم من بابٍ أولى، فضلًا عمّا في تأخير الفعل من مُراعاةٍ للفاصلةِ والمقصودِ.

أهميَّةُ التَّقديم في ترسيةِ المعنى، وفي مُراعاةِ الفاصلةِ

نكتةُ تقديمِ التَّوصيةِ على الرُّجوعِ:

لمّا كانت التَّوصيةُ بالقول وكانت أخفَّ على مَن يُحيطُه الهلاكُ من الحركة والانتقال قُدِّم عدَمُ الاستطاعةِ على التَّوصية على عدمِ القدرةِ على الرُّجوعِ إلى الأهل، فإذا لم يستطيعوا التَّوصيةَ وهي بأحرفٍ يسيرةٍ، فمن بابٍ أَولى أن لا يقدروا على الرُّجوع إلى أهلِهم، والمقصود أنَّ كلَّ واحدٍ منَ النّاس يموت في مكانِه حيثُ تفجَؤُه الصَّيحةُ.

كلُّ إنسانٍ يموتُ في مكانِه، حيثُ تفجَؤُه الصَّيحةُ ولا تُمهِلُه

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 171، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 159.

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»